تفسير ابن كثير

يقول تعالى : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين با العابدين معه غيره { من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم } أي ليعترفن بأن الخالق لذلك هو ا وحده لا شريك له وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد ثم قال تعالى : { الذي جعل لكم الأرض مهدا } أي فراشا قرارا ثابتة تسيرون عليها وتقومون وتنامون وتنصرفون مع أنها مخلوقة على تيار الماء لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا { وجعل لكم فيها سبلا } أي طرقا بين الجبال والأودية { لعلكم تهتدون } أي في سيركم من بلد إلى بلد وقطر إلى قطر { والذي نزل من السماء ماء بقدر } أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم .

وقوله تبارك وتعالى : { فأنشرنا به بلدة ميتا } أي أرضا ميتة فلما جاءها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ثم نبه تعالى بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها فقال : { كذلك تخرجون } ثم قال D : { والذي خلق الأزواج كلها } أي مما تنبت الأرض من سائر الأصناف من نبات وزروع وثمار وأزاهير وغير ذلك ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها { وجعل لكم من الفلك } أي السفن { والأنعام ما تركبون } أي ذللها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها ولهذا قال جل وعلا : { لتستووا على ظهوره } أي لتستووا متمكنين مرتفعين { على ظهوره } أي على ظهور هذا الجنس { ثم تذكروا نعمة ربكم } أي فيما سخر لكم { إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين } أي مقاومين ولولا تسخير ا لنا هذا ما قدرنا عليه قال ابن عباس Bهما وقتادة والسدي وابن زيد : مقرنين أي مطيقين { وإنا إلى ربنا لمنقلبون } أي لصائرون إليه بعد مماتنا وإليه سيرنا الأكبر وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الاخرة كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله تعالى : { وتزودوا فإن خير الزاد التقوى } وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى : { وريشا ولباس التقوى ذلك خير } .

ذكر الأحاديث الواردة عند ركوب الدابة .

(حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) Bه قال الإمام : حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد ا عن أبي إسحاق عن علي بن ربيعة قال : رأيت عليا Bه أتى بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال : باسم ا فلما استوى عليها قال : الحمد { سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون } ثم حمد ا تعالى ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال : سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك فقلت له : مم ضحكت يا أمير المؤمنين

؟ فقال Bه : رأيت رسول ا صلى ا عليه وسلّم فعل مثلما فعلت ثم ضحك فقلت : مم ضحكت يا رسول ا ؟ فقال صلى ا عليه وسلّم : [يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال رب اغفر لي ويقول علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري] وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي الأحوص زاد النسائي ومنصور عن أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة الأسدي الوالبي به وقال الترمذي : حسن صحيح وقد قال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة : قلت لأبي إسحاق السبيعي : ممن سمعت هذا الحديث ؟ قال : من يونس بن خباب فلقيت يونس بن خباب فقلت : ممن سمعته ؟ فقال : من رجل سمعه من علي بن ربيعة ورواه بعضهم عن يونس بن خباب عن شقيق بن عقبة الأسدي عن علي بن ربيعة الوالبي به .

(حديث عبد ا بن عباس) Bهما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة [حدثنا أبو بكر بن عبد ا عن علي بن أبي طلحة عن عبد ا بن عباس Bهما قال : إن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أردفه على دابته فلما استوى عليها كبر رسول ا صلى ا عليه وسلّم ثلاثا وحمد ثلاثا وهلل واحدة ثم استلقى عليه وضحك ثم أقبل عليه فقال ما من امرىء مسلم يركب فيصنع كما صنعت إلا أقبل ا D عليه فضحك إليه كما ضحكت إليك] تفرد به أحمد .

(حديث عبد ا بن عمر) Bهما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبد ا البارقي عن عبد ا بن عمر Bهما قال : إن النبي صلى ا عليه وسلّم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال [سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ـ ثم يقول ـ اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعيد اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا] وكان صلى ا عليه وسلّم إذا رجع إلى أهله قال : [آيبون تائبون إن شاء ا عابدون لربنا حامدون] وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج والترمذي من حديث حماد بن سلمة كلاهما عن أبي الزبير به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبي لاس الخزاعي قال : حملنا رسول ا صلى ا عليه وسلّم على إبل من إبل الصدقة إلى الحج فقلنا : يا رسول ا ما نرى أن تحملنا هذه فقال صلى ا عليه وسلّم : [ما من بعير إلا في ذروته شيطان فاذكروا اسم ا عليها إذا ركبتموها كما آمركم ثم امتهنوها لأنفسكم فإنما يحمل ا D] أبو لاس اسمه محمد بن الأسود بن خلف .

(حديث آخر) في معناه ـ قال أحمد : حدثنا عتاب أخبرنا عبد ا وعلي بن إسحاق أخبرنا عبد ا يعني ابن المبارك أخبرنا أسامة بن زيد أخبرني محمد بن حمزة أنه سمع أباه يقول :

سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [على ظهر كل بعير شيطان فإذا ركبتموها فسموا ا D ثم لا تقصروا عن حاجاتكم]